أجرى المقابلة: أنطوان شلحت وبلال ضاهر

المؤرخ الإسرائيلي المُتخصّص في تاريخ الصهيونية يغئال عيلام: تغيير إسرائيل يستحيل أن يتم من الداخل فقط!

"علينا أن نعترف بحقيقة فحواها أن الشعب اليهودي كان يمينيًا في أساسه. منذ البداية كان يتبنى فكرًا يقول إنه شعب مختار، وحيد وفريد، لا تنطبق عليه القواعد الإنسانية العامة. وفقط في الأزمنة الصعبة عندما كان أقلية تمسك بالفكر اليساري الكوني في جوهره كي ينال الدعم في العالم المتنور ويضمن بقاءه"

يحرص المؤرخ الإسرائيلي يغئال عيلام المتخصّص في تاريخ الصهيونية وإسرائيل على التأكيد في كل مناسبة أن كل التطورات التي طرأت على كل ما يقع في مجال تخصّصه تعود إلى جذر أساسيّ واحد هو اعتقاد اليهود أنهم شعب الله المُختار وأنه يحق لهم ما لا يحقّ لغيرهم من شعوب العالم قاطبة.

وتمثّل آخر هذه المناسبات في ذكرى مرور نصف قرن على الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ ، حيث أشار إلى أن معظم المقاربات التي تقدم تفسيرات لمسألة صعود اليمين الإسرائيلي ومواصلته الحكم على مدى عشرات الأعوام (منذ العام ١٩٧٧) لا تمسّ الجذور الحقيقية لهذه المسألة. فليس استعلاء النخب الأشكنازية، ولا تجاهل الثقافة الشرقية، هما اللذان أديا الى أفول ما يُسمى «اليسار»، ولا حتى التمييز والغبن الاجتماعيين. وأكد أن «علينا أن نعترف بحقيقة فحواها أن الشعب اليهودي كان يمينيًا في أساسه. منذ البداية كان يتبنى فكرًا يقول إنه شعب مختار، وحيد وفريد، لا تنطبق عليه القواعد الإنسانية العامة. وفقط في الأزمنة الصعبة عندما كان أقلية، تمسك بالفكر اليساري الكوني في جوهره، كي ينال الدعم في العالم المتنور ويضمن بقاءه. ولهذا السبب بحث اليهود في المنفى في العصر الحديث عن سند لهم في حركات اليسار الليبرالية. والصهيونية هي الأخرى في كفاحها لإقامة «الوطن القومي» في أرض إسرائيل، فضلت قيادة اليسار، مثلما مثلتها في حينه حركة العمل».

وبرأي عيلام فإن الدعوات التي توجه اليوم الى معسكر اليسار لبذل كل جهد من أجل استعادة الحكم، بل ومغازلة الشعب بكل وسيلة ممكنة، هي دعوات مثيرة للشفقة. فما المعنى من تغيير القيادة

وبرأي عيلام فإن الدعوات التي توجه اليوم الى معسكر اليسار لبذل كل جهد من أجل استعادة الحكم، بل ومغازلة الشعب بكل وسيلة ممكنة، هي دعوات مثيرة للشفقة. فما المعنى من تغيير القيادة الحالية إذا كانت مناسبة لهذا الشعب في هذا الزمن بتطابق تام؟ وما المعنى إذا كنت لهذا الغرض مُطالبًا بأن تتخفى في زي اليمين وتتبنى السياسة أو انعدام السياسة التي تتميز بها حكومة اليمين القائمة؟ إن اليمين يفعل هذا بطريق مباشر وطبيعي، أما اليسار فلن ينجح أبدًا في أن يمثل اليمين بصدقية أعلى من اليمين القائم.

الحالية إذا كانت مناسبة لهذا الشعب في هذا الزمن بتطابق تام؟ وما المعنى إذا كنت لهذا الغرض مُطالبًا بأن تتخفى في زي اليمين وتتبنى السياسة أو انعدام السياسة التي تتميز بها حكومة اليمين القائمة؟ إن اليمين يفعل هذا بطريق مباشر وطبيعي، أما اليسار فلن ينجح أبدًا في أن يمثل اليمين بصدقية أعلى من اليمين القائم. ورجال الوسط المتخفون وحدهم مثيل يائير لبيد ورفاقه ينجحون حاليا فقط في تقديم عرض كاذب في الطريق الى الحكم، لكن في نهاية المسيرة مهما تكن ناجحة سيتبين أن العرض الكاذب أقوى ممن يمثلونه فهم سيبقون حبيسين في قناعهم اليميني، سيواصلون الهمس كاليمين والثرثرة كاليمين، حتى إن طالبوا بأجر كالوسط، وسيبقون ذوي هوية مشوشة، هي هويتهم الحقيقية وبفضل ذلك لعلهم يثبتون بالفعل أنهم اكثر ملاءمة للقيادة المزعومة للجيل الحالي، الذي هو جيل متخبّط ومشوّه.

كما يشير عيلام إلى أنه واضح له كوضوح الشمس أن أي تغيير دراماتيكي فيما يتعلق بسياسة إسرائيل إزاء الفلسطينيين قد يطرأ في المُستقبل سيكون بسبب اضطرارات خارجية وليس نتيجة تغييرات داخليّة. وأي اضطرارات خارجية تعني أن العالم سيلعب بطريقة مختلفة، وهذا لن يكون بسبب القيادات أو الحكومات إنما بضغط البنية التحتيّة الاقتصاديّة والأكاديميّة والرياضيّة، مثل ألا يسمحوا لإسرائيل مثلًا بأن تشترك في الألعاب الاولمبيّة، وأن يقاطعوا الأكاديميا، ويكفي هذا لنرى هنا تحركًا. وفي هذه الحالة فهو يؤكد أنه مع من خاب أملهم لأن العالم لا يفعل هذا. ولماذا لا يفعله؟ بسبب المحرقة النازية، «فنحن ما نزال نعيش على صندوق المحرقة، الذي يمنحنا تخفيضات، لكن هذا لن يدوم إلى الأبد».

ومثل أي مقابلة من هذا القبيل بدأنا بالسؤال عن سيرة حياته فأجابنا على النحو التالي:

عيلام: وُلدت في تل أبيب عام ١٩٣٦ في زمن الثورة العربيّة. وكنت، لا بصفة شخصيّة، ممّن افتتحوا مستشفى «أسوتا» حين تأسس في تل أبيب تلك الأيّام. على أي حال، عشت طفولتي جنوبيّ تل أبيب. والجنوب كما تعرفانه اليوم أصبح منطقة نزاع، بسبب قدوم اللاجئين الأفارقة. عشت هناك. وهناك، في «مدرسة بياليك»، تعلّمت. كانت مدرسة كبيرة جدًا في حينه لتعداد طلابها، وأعتقد أنها المدرسة الوحيدة في هذه الأيّام التي تستقبل أبناء المهاجرين وكلّ من يسكن في هذه المنطقة، وهو ما يجب أن يُقال بحق هذه المدرسة. في سنّ ١١ سنة، قبل «حرب الاستقلال» (نكبة ١٩٤٨)، انتقلنا إلى هنا (وسط تل أبيب). بنى أبي هذا البيت، بنى الطابق الأوّل وبصعوبةٍ بالغة، بإمكانيّات شحيحة، ثم توفّي في مرحلةٍ مبكّرة من عمره تاركًا ولدين، أنا البكر، وأخي أصغر منّي بستّ سنوات، ونحن بنينا الطابقين الثاني والثالث، فوق الطابق الأوّل الذي كبرنا فيه. لذلك فهو بيت حمائليّ. طابق واحد وعمّر الأبناء فوقه طابقين.

هكذا كان انتقالنا من الجنوب إلى الشمال، شمال تل أبيب. شمال كلاسيكيّ. وكانت تلك سنوات مؤسِّسَة ساهمت في تشكيلي من كل الجوانب، الداخليّة والاجتماعيّة. وبعدها كان المسار الذي نعرفه. خدمت في الجيش الإسرائيلي بين ١٩٥٤ و ١٩٥٨، أي أنّني عايشت حرب سيناء، «حملة كاديش». كنت مرشدًا في حينه في كليّة الضبّاط، وخدمت لثلاث سنوات في مسارٍ متعدد، لأنّني أردت أن أختبر مختلف الفروع العسكريّة، وكنت مصرًا في النهاية على أن أخدم في سلاح المظليين، وكان هذا شيئًا كبيرًا في وقته...

لم تعجبني الخدمة هناك، فلم أكن أحب الخدمة العسكريّة عمومًا لكن ذلك لم يكن نتيجة توجّهات أيديولوجيّة وإنما بسبب أطباعي الشخصيّة. عندما أنهيت الخدمة الإجباريّة، وكانت مدّتها في حينه عامين ونصف العام، بقيت مثبّتًا لنصف عامٍ إضافيّ

إلى أن يحين موعد الدخول إلى الجامعة. دخلت الجامعة العبريّة في القدس ودرست هناك التاريخ والفلسفة. وكان هذا اختيارًا جيّدًا بالنسبة لي، ومن هنا موضوع كتابتي، منذ ذلك الوقت وحتّى اليوم، وكان لي نشاط في نقابة الطلّاب حيث سيطر حزب «مباي». وشكّلنا مجموعة طلّابيّة شبابيّة لها اعتراضات كثيرة على سياسة «مباي»، وخضنا نوعًا من التمرّد وأمسكنا بزمام الأمور. اكتشفنا أن جمهورًا واسعًا سيصوّت لنا، وكنا نسمّى «المستقلّين». وقد أخذت على نفسي حينها مهمة تأسيس جريدة طلّابيّة، وهكذا أسست جريدة «بي هآتون» («فم الأتان») التي ما زالت تصدر حتّى يومنا هذا. كانت جريدة نضاليّة بعض الشيء، فيما يتعلّق بالصراع مع دافيد بن غوريون (زعيم «مباي» الأوحد)، ونشطت «اللجنة لأجل الديمقراطيّة» في حينه على خلفيّة الفضيحة وصراع بن غوريون على «النرجسية» وصورته أمام الجمهور. بدأت تعليمي في العام ١٩٥٨ وفي العام ١٩٦١ انتهيت من شهادة اللقب الأوّل. أوقفت تعليمي لعام واحدٍ من أجل التركيز في عمل الجريدة، وبعدها بدأت باللقب الثاني، وانجررت فيما بعد إلى ما أسمّيه «هوامش السياسة» بدلًا من التعليم. كنت طالبًا لا بأس به. وأن تستمر في الدراسة يعني أن تكتب رسالة الدكتوراة. ودخلت فترة الدكتوراة التي استمرّت مدّة ٢٠ عامًا. ربما تكون هذه أطول مدّة لإنجاز الدكتوراة في التاريخ. كل هذه الطاقة أهدرتها لصالح المعارضة والأطر السياسيّة المعارضة في هوامش «مباي». انضممنا إلى «مباي» وكنّا مجموعة متماسكة، فقط من أجل دعم ليفي إشكول ضدّ بن غوريون في سنوات الستينيّات، ولكنّنا فهمنا سريعًا أن «مباي» قصّة ميؤوس منها بالنسبة لنا، هذا ليس لنا، كنّا في الهوامش دائمًا، وما أعبر عنه اليوم هو الهامش، هامش السياسة.

(*) سؤال: من أين كان ينبع هذا السخط على «مباي»، هل من شؤون داخليّة فقط؟

عيلام: شؤون داخليّة وكذلك شؤون خارجيّة. الرجل الذي كنّا نتواصل معه في حينه كان لوبا إلياف (من الجناح اليساريّ في «مباي»). كان سكرتير الحزب في حينه، في فترة غولدا مئير، وهو الآخر أقصوه خارج الحزب. عمليًا، كانت هذه فترة برز فيها الجيل القادم لقيادة «مباي». من هؤلاء أذكر مثلًا عوزي بارعام الذي كان من البارزين هذه المجموعة، وكان خصمًا لنا كطلاب لأنه كان رجل حزبٍ بشكلٍ واضح، واصطدمنا به، هو وأبراهام بورغ ومجموعة كاملة من الشخصيات التي كان من المفترض أن تكون وريثة، الجيل القادم. كلهم تم إقصاؤهم، خرجوا مع السنوات، وأنت تنظر إلى الماضي وتقول في نفسك: هذه هي المؤشّرات الواضحة كيف دمّر هذا الحزب مستقبله. لماذا؟ عندما تظهر قيادات شبابيّة، تطالب بالتجديد، والإصلاح، والانفتاح، وكل هذا تحت وطأة أحداث كبيرة مثل حرب الأيّام الستة (حرب حزيران ١٩٦٧) وكل ما تلاها. أنا شخصيًا، حتى أنهي وأقصّر عمر هذه المسرحية التي لعبت بها دورًا، كنت أعمل عملًا حرًا ومستقلًا طوال هذه الفترة كلّها. لم أندمج في المؤسسة، لا اقتصاديًا ولا سياسيًا. كنت ناشطًا سياسيًا وعملت كثيرًا، وعشت على حد السيف، وحد سيفي هو قلمي، كمحرر وكاتب، وكانوا يجندونني لبعض المشاريع بين الحين والآخر، حتّى أنّني أدرت دار نشر كانت تُسمى «ليفين إبشتاين»، هناك أصدرت كتابي الأول: «مدخل إلى التاريخ الصهيونيّ الآخر»، وقد أثار ضجةً بسبب ما يتناوله. ومن هاجمني؟ لم يكن اليمين، إنما من يسمّون أنفسهم يسارًا – «مباي». كان للكتاب غلاف أصفر، وأطلقوا عليه اسم «الكتاب الأصفر». استمر ذلك حتى الثمانينيّات، وكنت مندمجًا طوال الوقت في هذا العمل وكانت لديّ مجموعتي.

لاأخلاقية بن غوريون

(*) سؤال: ماذا كانت ثيمة الكتاب المركزية؟

عيلام: ترك هذا الكتاب انطباعًا قويًا لدى الناس. فقد قال العنوان: «مدخل إلى تاريخ صهيونيّ آخر»، وهذا أحدث زعزعة ما من جانبين. الجانب الأوّل، وهو الأقل أهميّة، هو التوصيف الذي اقترحته للصراع. ولكن الأبرز هو ما يقوله الكتاب في السياسة الداخليّة، وما أغضب الناس أنّني أعدت تأهيل رئيف جابوتينسكي (زعيم التيّار التنقيحي، الذي خرج منه حزب حيروت). وصفت جابوتينسكي بأنه شخص آخر. لم أكن مؤيدًا لجابوتينسكي أبدًا، ولكنّ كمؤرّخ حافظت على صيت مهنيّ وموضوعيّ. موضوعيًا، ما أجده في المستندات والوثائق، وما يظهر من التحقيقات والبحث، هو ما أقوله. وتفضلوا، حاولوا دحض ما أدّعيه وقطّعوني إربًا. من السهل، دائمًا، الادعاء بأنك من جانبٍ معيّن، وأن يتم تأطيرك وتصنيفك بشكلٍ ما لسحب البساط من تحت الادعاءات التي تطرحها.

(*) سؤال: وصفت جابوتينسكي باعتباره يمثّل صهيونيّة أخلاقيّة، في سياقٍ ما.

عيلام: ليس أخلاقيًا، ليس بهذه الكلمات...

(*) سؤال: بالأحرى قلت إن بن غوريون غير أخلاقيّ.

عيلام: نعم، وجّهت نقدًا إلى بن غوريون ولم يسامحوني على هذا في حينه.

«فأنا كبرت وأبي كان ينتمي لحزب «مباي»، وكان متزمّتًا بشكلٍ لا يمكنك تخيّله، وقد مات صغيرًا، في سن ٥١ عامًا، ولكنّه كان محزّبًا صارمًا، ولو عرف ما بدر عنّي على مدار السنوات لتقلّب، كما يقولون، في قبره. مع هذا، ظللت نقديًا، ولكن نوع النقد الذي أمارسه ليس نقدًا كما فعلوا مع جابوتينسكي، حيث صنعوا منه شيطانًا، لم يقرأوه ولم يصغوا إليه. طبعًا الفارق بين جابوتينسكي وما خلف من تلاميذ وتلاميذ التلاميذ هائل، حين ترى إبن بيغن، أو حتّى بيغن نفسه، فهذا مختلف عن جابوتينسكي، وهذا غير الرعاع اليوم، الليكود، مركز الليكود، ولكن ليس الليكود فقط، كل هذا الشعب الآن».

(*) سؤال: لذا أتت الانتقادات لك مما يعرف بـ«اليسار»؟

عيلام: يجب فهم الخلفية. فأنا كبرت وأبي كان ينتمي لحزب «مباي»، وكان متزمّتًا بشكلٍ لا يمكنك تخيّله، وقد مات صغيرًا، في سن ٥١ عامًا، ولكنّه كان محزّبًا صارمًا، ولو عرف ما بدر عنّي على مدار السنوات لتقلّب، كما يقولون، في قبره. مع هذا، ظللت نقديًا، ولكن نوع النقد الذي أمارسه ليس نقدًا كما فعلوا مع جابوتينسكي، حيث صنعوا منه شيطانًا، لم يقرأوه ولم يصغوا إليه. طبعًا الفارق بين جابوتينسكي وما خلف من تلاميذ وتلاميذ التلاميذ هائل، حين ترى إبن بيغن، أو حتّى بيغن نفسه، فهذا مختلف عن جابوتينسكي، وهذا غير الرعاع اليوم، الليكود، مركز الليكود، ولكن ليس الليكود فقط، كل هذا الشعب الآن.

(*) سؤال: ثمة من يعتقد أيضًا أن الليكود الآن ليس حيروت...

عيلام: ليس حيروت القديمة. كان عندي نقاش مع حيروت طبعًا، ولكن لا مقارنة مع الليكود. على أي حال في سنوات الثمانين كانت هناك محاولات كنت في مركزها، مجموعة صغيرة من الناس أسست ما كنا نسمّيه «الكونغرس الاسرائيلي»، حركة الكونغرس، وكان مؤتمر وكتبنا وثيقة، وخمس نقاط الصهيونيّة التي نتمسك بها. لن أدخل في هذا الآن، ولكن كان تصور آخر للصهيونية، كاستمرار لذلك الكتاب الذي كنت قد كتبته قبلها بـ ١٥– ٢٠ عاما. حول هذا الكونغرس تجمع ما يقارب ألف شخص، عدد ليس بقليل، ولكن هذه المحاولة استمرت لعام واحد قبل أن فهمنا أننا بحاجةٍ لحل هذه الحركة، ليس لأنّ عددنا لم يزد من حيث التعداد، إنما لأنه اتضح لنا أن النقاشات بين الأشخاص هي نقاشات واختلافات لا يمكنها أن تثمر أي توجّهٍ متناسقٍ أو واضح. هذا ما يحدث دائمًا، هذا ما تعلمته من التاريخ؛ أنت ترمي فكرة معينة، ترمي عنوانًا للناس فيتّقد مخيالهم. ويمكن للناس أن يكونوا مختلفين كليًا، تماما كما خلّفت الصهيونيّة تيارات مختلفة، ولم تكن فكرة الصهيونية متجانسة أو ذات بعدٍ واحدٍ. الفرق أن الصهيونية جرفت آلاف وعشرات الآلاف منذ بدايتها، وبظروف الشعب اليهودي في الشتات. لذا، كانت هذه المحاولة، وعندما انتهت في ١٩٨٤–١٩٨٥ ، هناك توقفت، أخذت استراحةً، وعدت لألتزم بالدراسة الأكاديميّة. أنجزت الدكتوراة، وبعد عشرين عامًا، ليس من السهل أن تعود إلى ذلك، يجب أن تجتهد. وكان هناك سبب آخر، أنني لم أحب الأكاديميا. في اللقب الأوّل واللقب الثاني، عرفت هذا العالم، الأكاديميا. يقولون دائمًا إن السياسة تعجّ بالغيرة والكراهية والمؤامرات.. هذا لا شيء نسبة للأكاديميا، لكن في الجامعة هذا كله مقنّع ومغلّف، وهذا كله بحجمٍ صغيرٍ، خلافًا للسياسة الكبيرة وما يُسلّط عليها من أضواء. ولكن فيما يتعلّق بالسياسة، دائمًا كنت أشعر بأنّني تباركت بالتجربة التي اكتسبتها حتى ولو على هامش الحياة السياسيّة. فأنا أعرف عن كثب ما هو الاجتماع السياسيّ، المنافسة السياسيّة، النقاش.. معظم المؤرّخين يكتبون التاريخ حول الشؤون السياسيّة دون أن يعايشوا التجربة، لذلك فهم لا يقرأون البروتوكولات بشكلٍ صحيح. لا يفهمون ما الذي يحدث بين السطور، من تحت أنفهم، لم يعيشوا هذه التجارب، لا يلتقطون التفاصيل من البروتوكول الجاف: ما الذي يجري؟ كيف تجري هذه الدراما؟ ما الجدليّة المتكوّنة هنا؟

ثمة مؤرخ قديم جدًا، من أقدم المؤرخين اليونانيين، وهم أوّل من كتب التاريخ، اسمه بوليبيوس. تعرفت على كتاباته قبل بضع سنوات. إنه يناقش هذه الأمور، ويسأل كيف يمكن أن يكتب إنسان تاريخ الحرب إن لم يكن عسكريًا، وأن يكتب عن السلطة من دون أن يشترك في الحياة السياسيّة ولا يعرف عمّا يتحدث، لكنّه يكتفي بالأساطير وبالقصص المتناقلة والشهادات. وكان صادقًا مئة بالمئة، لم يتغيّر شيء.

«ورطة المؤرخين الكبيرة هي ما أسمّيه فهم المقروء، أن تفهم ما تقرأه في النص. ستفهم النص بشكل مختلف إن لم تكن خبرت قليلًا الحياة السياسيّة أو العسكريّة أو الاقتصاد. أنا لا أستطيع أن أكتب عن الاقتصاد، لا أعرف في الاقتصاد ولم أكن رجل أعمال في حياتي. أغلب التاريخ لا يُكتب بالتشديد على الاقتصاد، وهذا ليس صحيحًا، الاقتصاد في غاية الأهميّة. الاقتصاد حسب رأيي هو المحرك دائمًا، على مدار التاريخ. الاقتصاد محرّك ليس بمعنى التفكير والحسابات المسبقة وإلى آخره، إنما بمعنى أن الإنسان يسعى وراء أطماعه، الربح المادي، زيادة الربح، وهذا يتسبّب بخرق حواجز، ويبرز مثلًا في تاريخ أوروبا في الانتقال من العالم القديم إلى العصور الوسطى إلى الحداثة والثورة الصناعيّة».

وبعده جاء المؤرخ ثوكيديديس الذي كتب تاريخ الحرب البيلوبونيسيّة بين أثينا وإسبارطة. وكان أمثالهما يتعاملون أيضًا مع أسئلة منهجيّة البحث، الميثودولوجيا، برغم أنّهم لم يسمّونها هكذا. لكنّهم كتبوا عن الإشكاليّات التي تواجه المؤرّخ. تحدّثوا عن الشهادات، فبدون الشهادات لا يبقى إلا الأساطير والغيبيّات، وقد وقف المؤرّخون ضدّ الغيبيّات. فالأساطير هي قصّة الأعمال التي كنّا نريد لها أن تحصل، لكنّها لم تحصل بالضرورة. ووظيفتك كمؤرخ أن تكشف كيف كانت الأمور فعلًا. هذا ثوكيديديس، وقبله بوليبيوس. ومنذ ذلك الحين جرت مياه كثيرة في النهر.

ورطة المؤرخين الكبيرة هي ما أسمّيه فهم المقروء، أن تفهم ما تقرأه في النص. ستفهم النص بشكل مختلف إن لم تكن خبرت قليلًا الحياة السياسيّة أو العسكريّة أو الاقتصاد، أنا لا أستطيع أن أكتب عن الاقتصاد، لا أعرف في الاقتصاد ولم أكن رجل أعمال في حياتي. أغلب التاريخ لا يُكتب بالتشديد على الاقتصاد، وهذا ليس صحيحًا، الاقتصاد في غاية الأهميّة. الاقتصاد حسب رأيي هو المحرك دائمًا، على مدار التاريخ. الاقتصاد محرّك ليس بمعنى التفكير والحسابات المسبقة وإلى آخره، إنما بمعنى أن الإنسان يسعى وراء أطماعه، الربح المادي، زيادة الربح، وهذا يتسبّب بخرق حواجز، ويبرز مثلًا في تاريخ أوروبا في الانتقال من العالم القديم إلى العصور الوسطى إلى الحداثة والثورة الصناعيّة، وهذا العامل الذي اسمه الاقتصاد هو المحرك الذي يعمل على مدار الساعة.

(*) سؤال: هل أنت ماركسي أم تقول هذا لأنه علميّ؟

عيلام: الاقتصاد ليس علمًا والتاريخ ليس علمًا، إلا إذا وسّعت مفهوم «العلم» كثيرًا. لكن الاقتصاد ليس علمًا وكذلك التاريخ والسياسة. ما أقوله عن الاقتصاد هو شهادة التاريخ: كيف تحركت الاشياء؟ لا أحد يمكنه أن ينفي أن المفترقات التاريخيّة وكل حركة التاريخ هذه كان رجال الاقتصاد في مقدمتها دائمًا. في الحياة السياسية يعطون مكانة الشرف للقيادات وللسياسيين. أهم الأمور التي تعلّمتها من التاريخ هي ألا أؤمن ولا أقدّر القيادة. لا أؤمن بالقيادة لأنّ هذا طبعي الشخصيّ، لا أقبل علاقة الهيمنة ولست مستعدًا للركوع أمام السلطة. ولكن بالنسبة للمؤرّخين فإن هذه واحدة من نقاط ضعفهم: إنّهم يربطون كل المفترقات التاريخيّة بالقيادات؛ بن غوريون فكّر، بن غوريون قال، بن غوريون فعل.. وهناك تشرتشل وهناك هذا وذاك. هذا مجرّد هراء.

(*) سؤال: في أحد مقالاتك في «هآرتس» كتبت أن القيادات لا تقود تغييرات. لكن الانطباعات الشخصية توحي بأن المفترقات التاريخيّة المركزية في إسرائيل كانت مرتبطة بقيادات، أي بقرارات قيادات، مثلًا مفترق ١٩٤٨، ألم يكن قرارًا مرتبطًا بقيادة؟ أم أن هذه أسطورة أيضًا؟

عيلام: هذه أسطورة. وهذه هي مساهمتي للتأريخ الاسرائيليّ، وقد أثبتت هذا. هناك فكرة شائعة هي الأشهر عن دور بن غوريون في حسم موضوع إقامة الدولة. هذا لم يحدث أبدًا.

وظيفة القائد أن ينزع صمّام الأمان أو يغلقه

(*) سؤال: لكن في مفترقات أخرى، مثلاً اتفاقية السلام مع مصر، اتفاقية أوسلو، الإنسحاب من لبنان، ومن غزة. هذه كانت قرارات قيادة؟ ألم تكن كذلك؟

– لا. إنه يبدو من بعيد كأنه قرار قيادة. لكنّك حين تضع شخصًا في رأس هرم، هل يمكنه أن يفعل ما يريد؟ هل تعتقد أنه يقف فوق الهرم ويطلّ على المنظر ويفعل ما يخطر له؟ لا. يوجد

«لنأخذ موضوع أوسلو مثلًا. حين وُلد أوسلو كان رئيس الحكومة إسحق شامير، آخر ما فكّر فيه شامير هو أن يتنازل للفلسطينيين، أن يقدّم شيئًا أو يفعل شيئًا للسلام. كانت هناك ضغوطات أميركيّة. وذهبوا إلى قمة مدريد، وذهب شامير إلى هناك دون رغبة، ولكنه ظنّ أنه يستطيع أن يعرقل كل شيء، أن يثرثر ويحبط العمليّة، ونحن خبراء في هكذا خطوات. في ذلك الوقت، فُتح أفق جانبي للمحادثات التي قادت لاتفاقية أوسلو، وتبدّلت الأمور عندنا في تلك السنوات. ما ولد هناك، هو الإمكانيّة الأخرى، الموازية، بدون إرادة شامير».

تحته هرم كامل. هناك بنية تحتية، وأخرى، وأخرى، لا يمكنه أن يفعل شيئًا ضد البنية التحتية. إنّه جزء من هذه البنية التحتيّة، بنفسه وبتوجهاته الفكرية، وإلا لم يكن ليصل للسلطة أبدًا. لا يمكنه أن يكون إنسانًا منفردًا، أو تابعًا لمجموعة صغيرة، من يقف في رأس الهرم يحتاج إلى أغلبية تصوّت له وتدعمه. يوصلونه إلى السلطة ليعبر عنهم بشكل أفضل. الآن، يمكن أن نرى مثالًا مجنونًا بعض الشيء؛ دونالد ترامب في الولايات المتحدة. يمكن أن نرى ما يستطيع إنسان مثل هذا أن يفعل في ظروف الواقع الأميركيّ. يدعم نصف الشعب الأميركي ترامب، ولم يكن ليصل إلى السلطة من دونهم، وليس لأنه شخصيّة لامعة ولا لأنه ضد النخب. ولكن الآن، بعد أن وصل إلى السلطة، فإن كل ما يريد أن يفعله يضطره لمواجهة حدود العمل والإمكانيّات والقدرات. ويمكننا أن نتتبّع هذه العمليّة لأنه تمرين جميل للرؤية التاريخيّة.

(*) سؤال: خاصةً حين يضطر لمواجهة الخلافات بين الشخصيّات التي تقف من ورائه.

عيلام: طبعًا، كلّها على خلاف فيما بينها. ثم تسأل: على ماذا الخلاف. باختصار. عمومًا، ولا يمكنني أن أجد مثالًا مضادًا آخر، لا يمكن لإنسان أن يتخذ قرارات ضد رغبات شعبه. لا يمكنه أن يأخذ قرارًا ضد نيات نخبته، أو نيات جزء كبير من شعبه. والخطوات الكبيرة التي يمكنه أن يفعلها لا بد أن تتفق مع الوقائع والظروف. هناك اضطرارات. لنذهب إلى تاريخنا، وسأتطرق إلى أوسلو واتفاق كامب ديفيد وغيرهما. الإضطرارات هنا خارجيّة وداخليّة. الخارج الإقليميّ، المصالح، الدول الأخرى. والاضطرارات الداخلية – الشعب. عندما تنظر إلى هذا ما الذي تستنتجه؟

لنأخذ موضوع أوسلو مثلًا. حين وُلد أوسلو كان رئيس الحكومة إسحق شامير، آخر ما فكّر فيه شامير هو أن يتنازل للفلسطينيين، أن يقدّم شيئًا أو يفعل شيئًا للسلام. كانت هناك ضغوطات أميركيّة. وذهبوا إلى قمة مدريد، وذهب شامير إلى هناك دون رغبة، ولكنه ظنّ أنه يستطيع أن يعرقل كل شيء، أن يثرثر ويحبط العمليّة، ونحن خبراء في هكذا خطوات. في ذلك الوقت، فُتح أفق جانبي للمحادثات التي قادت لاتفاقية أوسلو، وتبدّلت الأمور عندنا في تلك السنوات. ما ولد هناك، هو الإمكانيّة الأخرى، الموازية، بدون إرادة شامير. لو عرف شامير ما الذي كان سيحدث، لكان قد نفّذ ما تتطلبه منه مهمة القيادة. والآن، هذه هي فرصتي لأعرف ما هي وظيفة القيادة في التاريخ كما أراها: القيادة هي صمّام. صمّام أمان. الصمّام هو جزء من السلاح الناريّ، وظيفته ألّا تُفلت رصاصة. ولكن حين يريد للرصاصة أن تنطلق فهو ينزع الصمّام. إنه لا يعطي أمرًا بإطلاق النار، لكنّ يعتمد على الأصبع التي ترتجف غضبًا فوق الزناد؛ الشعب، الضغوطات، النخبة، الناس، هذه كلّها أصابع ترتجف فوق الزناد. إن كان الصمّام مغلقًا، لن تخرج الرصاصة، ويكون بهذا قائدًا قويًا. وهناك طبعًا حدود لقوّة القائد وقدرته على حصر الرصاصة. لذلك، فإن كان القائد معنيًا فعلًا بحدوث شيء ما، دون أن يكون لديه دعم شعبه والقدرة، دون أن يدفعه الشعب لفعل ذلك، فلن يجرؤ على اتخاذ القرار. هذا ما أقوله في كتابي «منفّذي الأوامر»: وظيفة القائد أن ينزع صمّام الأمان أو يغلقه.

(*) سؤال: لن تجد شخصًا يقول إن القائد أعطى الأوامر، لكن سيشددون على أنهم عملوا بروح الفترة. هل تعتقد أن ما يحدث اليوم هو الأمر ذاته؟ كيف تفسر أن جنديًا يرى طفلة فلسطينية ترفع مقصا فيقوم بإعدامها؟

عيلام: هذا ما يحدث في الميدان. طبعا لا توجد أوامر، لكن أيضا لا توجد أوامر عكسيّة حادّة. لذلك كانت لديهم تلك المشكلة

«في ١٩٤٨ كانت برأيي حالة حرب أهلية، وإن كانت كلمة أهلية مغلوطة ومضللة، إذ إنه هنا يعيش شعبان على ذات الأرض. هذه هي الحرب الأكثر بشاعة، لأن كل جانب يعتقد أنه لو خسر لكانت نهايته وكان دماره. وحينها تكون النتائج كارثية. لذلك، السؤال هل كانت هناك أوامر للتهجير؟ لدينا مواقع كانت فيها أوامر واضحة. وهنا أريد أن نبني طبقة أدنى في التأريخ: هل كان في الوعي اليهوديّ في حينه، الإسرائيليّ، في عقليّة الييشوف، فكرة أن العربيّ شريكي هنا وأنه الشعب الذي نريد أن نعيش معه؟ أم أنهم رأوا في وجود العرب وجودًا غير لازم؟. ما كان هنا في القسم الخلفيّ من الرأس الذي لا نعبّر عنه يوميًا هو ما يلي: لا حاجة للعرب، إنهم غير لازمين. هذه هي المسألة التي صنعت الحقائق على الأرض».

الآن مع الجندي إليئور أزاريا (الذي قام بقتل الشهيد عبد الفتاح الشريف في الخليل حتى وهو مشلول الحركة ولا يشكل خطرًا على أحد). أنظر أي معارضة شعبيّة يواجهون، أي جدلٍ في الرأي العام، كيف سيُفشلون المحاكمة، هناك استئناف الآن، والقاضي، رئيس المحكمة العسكريّة، يدعوهم للتوصل إلى تسوية. عن أي تسوية يتحدثون؟

١٩٤٨ و١٩٦٧:

وجود العرب غير لازم!

(*) سؤال: بحثت فترة حرب ١٩٤٨، التي نُفذت خلالها عدّة مجازر ضد الفلسطينيين. كانت هناك بهذا الشأن أوامر، وغيرك من المؤرخين مثل إيلان بابيه تحدثوا مثلًا عن «الخطة داليت».

عيلام: يجب أن نقرأ «الخطة داليت» ونرى تفاصيلها. ينطبق عليها ما أقصده بصدد فهم المقروء. المشكلة أحيانًا في فهم المقروء أنها تكون مقصودة، أي حين تكون لديك فرضية، ثم تقرأ المخطط بما يخدم الفرضية. ولكنك إذا تمعّنت في «الخطّة داليت» وقرأتها بشكل منفتح، سترى ما هو الموضوع. ويمكنك أن تصل إلى استنتاجات من طريقة كتابة هذه الخطّة. معنى هذه الخطة بالأساس هو كيف تؤمّن سيطرة، في المناطق التي كانت معدة لتشملها الدولة اليهوديّة أولًا، ومن ثم كيف ستتصرف في حال اندلعت حرب وسيطرت على مناطق إضافيّة، وترى في الخطّة أن الحسابات في هذا الشأن تتعلّق باحتماليّة المقاومة. وأنا لا أخوض هنا نقاشًا إن كان ذلك مبررًا أم غير مبرر. لكنّني أسأل إن كانت «الخطة داليت» تعكس توجهًا يقول: نعم، سنفعل هذا (ارتكاب المجازر).

حين تقرأ الأمور تستطيع أن تفهم وترى كيف تنقلب الأمور بين فتح صمّام الأمان وإغلاقه. وهذا ما حدث. لم يأتوا لتطبيق المخطط كما هو مرسوم في «الخطة داليت»، إنما هم جسّدوا ما يسمى عند شعوب أخرى «حرب أهلية»: حرب في منطقة معينة، فيها مجموعتان مختلفتان تتنازعان. هذه الحروب هي الأشرس والأكثر وحشيّة. هذا ما رأيناه في البلقان وغيرها. هذه الحروب هي الأشرس والأكثر قسوة لأنها حرب على كل الغلّة. هؤلاء يظنون أن الآخرين لو انتصروا سيذبحونهم، والطرف الآخر يعتقد ذات الشيء. العلويون في سورية مثلًا هم النواة الصلبة لداعمي الأسد، ويفعلون كل شيء حتى لا يحدث هذا، وطبعا نعرف الجهات الأخرى التي لا تدعمه. كلنا نعرف ما نراه أمام أعيننا. في ١٩٤٨ كانت برأيي حالة حرب أهلية، وإن كانت كلمة أهلية مغلوطة ومضللة، إذ إنه هنا يعيش شعبان على ذات الأرض. هذه هي الحرب الأكثر بشاعة، لأن كل جانب يعتقد أنه لو خسر لكانت نهايته وكان دماره. وحينها تكون النتائج كارثية. لذلك، السؤال هل كانت هناك أوامر للتهجير؟ لدينا مواقع كانت فيها أوامر واضحة. وهنا أريد أن نبني طبقة أدنى في التأريخ: هل كان في الوعي اليهوديّ في حينه، الإسرائيليّ، في عقليّة الييشوف، فكرة أن العربيّ شريكي هنا وأنه الشعب الذي نريد أن نعيش معه؟ أم أنهم رأوا في وجود العرب وجودًا غير لازم؟. ما كان هنا في القسم الخلفيّ من الرأس الذي لا نعبّر عنه يوميًا هو ما يلي: لا حاجة للعرب، إنهم غير لازمين. هذه هي المسألة التي صنعت الحقائق على الأرض. الناس على الأرض، في زمن الحرب، هم من يقرّرون وليس الجنرالات. إلا إن كان لديك جنرال عنيد وقيادات مصرّة على وقف هذا، ومن ثم يجب أن ينزل القرار من القيادات العليا للقيادات في الميدان، قائد كتيبة، قائد وحدة، قائد منطقة...

«أنا لا أؤمن بأن التغيير يأتي من الداخل. كثيرون منّا يكتبون مقالات في «هآرتس»، معظمها يقول إن الاضطرارات الخارجية لا تصنع السلام، إنما يصنعه التغيير من الداخل والتربية وإلى آخره. هذا بنظري مثير للشفقة، وليس موضوعيًا، لأنني أعيش ضمن هذا الشعب، شعبي، وكما قلت سابقًا فإن جذور المعتقدات التي تطرقت إليها سالفًا ليست كامنة في حرب الأيام الستة، ولا في حرب ٤٨، ولا حتى مع بدايات الصهيونيّة. إنها راسخة منذ النبي إبراهيم. هذا شعب يتصرف بهذا الشكل في اللحظة التي يمتلك فيها سيطرة على مساحة ما. وبما أن الديانة اليهوديّة ليست كونيّة- هي كونية كفكرة الله الواحد وخلق العالم- ولكن الله لليهود فقط».

أذكر أنني خلال حرب الأيام الستة (حرب حزيران ١٩٦٧)، التي اشتركت بها في القدس، وحين حُسمت الحرب في اليوم السابع أو اليوم السادس، أرسل القسم الذي كنت أقوده إلى رام الله المحتلة. وحينها انبهرت مثل الجميع من الفيلّات الفاخرة والبيوت الجميلة. كان هذا مغايرًا مما نراه في داخل إسرائيل، لم تكن في القرى العربيّة بيوت لمثل هذه الطبقة. كانوا مدنيّين، وانحبسوا في بيوتهم في حالة صدمة ورعبٍ مما يمكنه أن يحدث، وكانت مجموعة من الجنود تحوم في المنطقة لينهب أفرادها وربما ليغتصبوا، ثم وصلوا إلى المنطقة التي كنت فيها، وكان علي أن ألقّم سلاح الـ«عوزي»، أن أفتح الصمّام، وأقول بأنّي سأطلق النار على من يفعل ذلك في هذه المنطقة. لم يصدقوا بداية لكنهم رأوا نظرتي الصارمة. بماذا كان يتعلق الأمر؟ بقائد الفصيل في هذا الموقع. لم تكن هناك أي أوامر واضحة، أو قرارات، لا من هذا الاتجاه ولا من ذاك. من جهة أخرى، لن تعثر في حالة حرب ١٩٤٨ على أي أوامر مثل «هذا ما عليكم أن تفعلوه في المواقع كذا»، إلا في موقعين حرجين جدًا. فقد اجتهد بن غوريون ليصدر قرارًا بأن يجهّزوا الرشّاشات ويطلقوا النار على كل من يمس بالمدنيين في القدس العتيقة، عندما فكروا باحتلالها، وفي الناصرة. وفعلًا كانت هناك أوامر كهذه. لماذا؟ بسبب وجود المسيحيّين، خوفًا من العالم المسيحيّ، ومن أن هذا سيحدث ضجة كبيرة. لكن لم تكن مثل هذه الأوامر في مواقع ثانية. لقد اهتم بأن يفعل ذلك فقط في هذين الموقعين. وهذا بالضبط هو نموذج العمل. لذلك فقد أغلق بن غوريون صمام الأمان وقال: «ويل لمن يفعل هذا»، وتستمر القصة بأنه بعد أن انتهت الحرب جاء بن غوريون ليزور منطقة الناصرة، ورأى العرب في الناصرة، فقال: «ما الذي يفعله هنا هؤلاء؟»، أي أنه غضب لأنّهم نفّذوا أوامره ولم يهجّروا عرب الناصرة. هذه هي القصة. إنها قصة مركبة. أنا لا يعنيني أن أبقى على هذا المستوى، لأنّي أبحث عن البنية التحتية. في البنية التحتية ساد الاعتقاد بأن وجود الأقليّة العربيّة يشكّل خطرًا، لأنه استقر في الوعي أن العرب غير لازمين. وأنا الآن لا أحاول أن أوازن مع الجهة العربيّة، لكنّني أعتقد أنّ الأمر في الجانب العربي أيضًا كان كذلك، ولكنني أعطي الطريقة التي أرى فيها جهتي، تلك التي أعرفها وأبحثها. وهذا الوصف والإجمال هو الأدق برأيي. مما ينبع هذا؟ من جذور عميقة للشعب اليهودي اليميني والساعي للانفصال. من جهة أخرى، هذه العقليّة هي نفسها التي تفرض قيودًا على إسرائيل وتحول دون تنفيذ حلّ مثل ضمّ الأراضي المحتلّة. إن إسرائيل لا تريد لمزيد من العرب أن يكونوا متساوين في دولة ثنائية القومية أو دولة كل مواطنيها، وهذا الادعاء بات جليًا في النقاشات والجدل، ولكن من أين ينبع هذا؟ من الجذور العميقة لمقولة «شعبٌ يسكن وحدَه»، التي تدجّج فكرة الكيان اليهوديّ المنفرد.

(*) سؤال: الآن يبدو في الظاهر أنهم لا ينظرون إلى الفلسطينيين وإلى وجودهم هنا بأنه غير لازم، لأنهم لا يمضون إلى انسحاب ولا إلى اتفاقية، وأغلبية الشعب في إسرائيل تعيش مع هذا الواقع. في الإحصائيّة الأخيرة لمؤشر السلام تبيّن أن ٦٢ بالمئة من اليهود في إسرائيل لا يعترفون بوجود الاحتلال في مناطق ١٩٦٧؟

عيلام: يمكن لأي كان أن يعبث بالكلمات. هذا ممكن. لكن أنا لا أؤمن بأن التغيير يأتي من الداخل. كثيرون منّا يكتبون مقالات في «هآرتس»، معظمها يقول إن الاضطرارات الخارجية لا تصنع السلام، إنما يصنعه التغيير من الداخل والتربية وإلى آخره. هذا بنظري مثير للشفقة، وليس موضوعيًا، لأنني أعيش ضمن هذا

الشعب، شعبي، وكما قلت سابقًا فإن جذور المعتقدات التي تطرقت إليها سالفًا ليست كامنة في حرب الأيام الستة، ولا في حرب ٤٨، ولا حتى مع بدايات الصهيونيّة. إنها راسخة منذ النبي إبراهيم. هذا شعب يتصرف بهذا الشكل في اللحظة التي يمتلك فيها سيطرة على مساحة ما. وبما أن الديانة اليهوديّة ليست كونيّة– هي كونية كفكرة الله الواحد وخلق العالم– ولكن الله لليهود فقط. لذلك فإن المساحة التي سنعيش فيها، الأرض، هي مساحة معينة، لن نشارك أحدًا فيها لأننا لا نريد أن نحوّل دينهم إلى اليهوديّة. لذلك هذه هي المحدودية، وهي محدودية أبدية. ولقد ذهبنا إلى الشتات لأننا لم نستطع تنفيذ هذا، لكن رجعنا، وهذا مزروع هنا داخل دماغ الشعب اليهودي، الشعب المنفصل، الشعب المختلف. وهناك إسقاطات لهذا، وترى في النقاش السياسيّ وفي قواعد اللعبة الدوليّة اليوم، أنك لا تستطيع أن تسيطر على منطقة من دون أن تؤمن وتمكّن المواطنة المتساوية لكل السكان في هذه المنطقة، لذلك جانب إيجابيّ أيضًا، لأنك هكذا لا تستطيع ضم هذه المنطقة. من جانب آخر لا يمكنك التنازل عنها للسبب الدينيّ ذاته. فماذا ننتظر؟ معجزة. لي واضح وضوح الشمس أن أي تغيير دراماتيكيّ قد يطرأ، سيكون بسبب اضطرارات خارجية وليس نتيجة تغييرات داخليّة. اضطرارات خارجية تعني أن العالم سيلعب بطريقة مختلفة. وهذا لن يكون بسبب القيادات أو الحكومات إنما بضغط البنية التحتيّة الاقتصاديّة والأكاديميّة والرياضيّة، مثل ألا يسمحوا لإسرائيل مثلًا بأن تشترك في الألعاب الاولمبيّة، وأن يقاطعوا الأكاديميا، يكفي هذا لنرى هنا تحركًا. وعند ذلك سيكون استفتاء عام وعندها سترى الانقلاب، وليس ٦٢ إنما ٧٢ بالمئة سيصوّتون لإنهاء الاحتلال. هذه واضح لي. في هذه الحالة أنا مع من خاب أملهم لأن العالم لا يفعل هذا. ولماذا لا يفعله؟ بسبب المحرقة النازية. نحن نعيش على صندوق المحرقة، الذي يؤدي إلى أن يمنحونا تخفيضات. لكن هذا لن يبقى للأبد. وعليّ التنويه هنا بأن الجانب العربيّ لا يؤدي الدور المطلوب منه في تأديته لصالح الجانب الفلسطينيين إن لم يكن العكس.

الصهيونية «بوست يهودية» وإسرائيل «بوست صهيونيّة»

(*) سؤال: هل تعتقد أن الصهيونيّة مرّت وتمر بتغيير جوهريّ منذ عودة بنيامين نتنياهو إلى الحكم عام ٢٠٠٩، بحيث أن الصهيونية المتديّنة تدخل وتهيمن على تيارات سياسيّة مختلفة، وفي داخل الليكود، وتتحوّل عاملًا مركزيًا في الحكومة والجيش؛ أم أنّ كل أفكار الاستيطان ورفض الدولة الفلسطينية بين النهر والبحر هي أفكار موجودة في السلطة الإسرائيلية من قبل ١٩٦٧؟

عيلام: كما قلت سابقًا، من قبل ١٩٦٧ . هنا في القسم الخلفيّ من العقل، في اللاوعي. هذا ما قصدته حين قلت إن الوجود الفلسطيني في أي منطقة تسيطر عليها إسرائيل هو نذير خطر في أي وقت. لكن يجب أن نقول إن هذه العقليّة تحتاج إلى ظروف مساعدة، خاصةً في أوضاع الفراغ. الطبيعة لا تقبل الفراغ، لذلك تبرز عند الفراغ القوى التي تريد أن تعمل. لا أقول إن موضوع الاستيطان لم يكن من الممكن منعه، ولكنّك تحتاج إلى مساعدة الفلسطينيين أنفسهم لتمنعه: تبدأ عمليّة سياسية تستمر قدرما أردت، ويمكنك أن تواصل عملية سلام، ترتيبات، اتفاقيات، مرحلية أو طويلة الأمد.

أنتم تتحدثون إلى إنسان يصيغ الأمور بهذه الطريقة فيما يتعلّق بالعلاقة بين الصهيونيّة واليهوديّة وإسرائيل. أنا أرى ان الصهيونيّة هي مرحلة «البوست يهوديّة». الصهيونية لا تتفق واليهودية التاريخية. اليهودية التاريخية كانت ضد الدولة، أيدت الشتات، والصهيونية غيرت اتجاها، وفي حينه اعترض كل الجمهور المتدين الأرثوذكسي على فكرة الصهيونية وقرأ الخارطة جيدًا وعرف على ماذا يدور الحديث، ولديّ وثائق وأعمل على هذا الموضوع وأحاضر عنه.

ما هي اليهوديّة، اليهوديّة كانت أمة دين، دين معيّن، دين قبيلة، رغم أن الفكرة كونيّة. ولكنها لم تكن أمّة دولة. التناخ ضد الدولة. أبناء اسرائيل يطلبون ملكًا، والنبي يرفض. تحتاج الدولة ملكًا، والملك هو حكم دنيويّ، أما الملك في الديانة اليهوديّة فهو الله. القيادة الدينية رفضت فكرة الدولة. اليهودية تطلب جهازًا منظما ومرتبا ولكنه جهاز دينيّ وفي رأس هرمه نجد الله. ولكن كيف سيتواصل الله؟ يوجد نبي ويوجد رجال دين وإلى آخره. لن نتعبكم بهذا. الصهيونية «بوست يهودية». وإسرائيل هي «بوست صهيونيّة». ففي اللحظة التي قامت فيها دولة إسرائيل، إنسوا الصهيونيّة. الجميع يستخدم هذه الكلمة، وليس لها أي معنى. بدلًا من أن تقول «إسرائيلية جيدة» أو «مواطنة جيدة» يقولون «صهيونيّة». ما هي الصهيونيّة في الواقع الاسرائيليّ؟ يفتحون مصنعا فيقولون هذا صهيوني. ما هو الصهيوني؟ ما الذي يربطه بالصهيونيّة؟ قامت الدولة فما حاجتك للصهيونيّة بعد؟ لذلك أنا أستخدم هذا المثل، وأسأل طلابي إن كانوا في طفولتهم قد ربّوا دودة القزّ، وشهدوا صيرورة تطوّرها. لديك شجرة توت، عليها أوراق خضراء، تخرج

«الثقافة الإسرائيلية ليست ثقافة يهود أميركا. هناك ثقافتان مختلفتان كليًا. هناك قرابة الدين وهذه الأمور، ولكن ثقافة مختلفة. من يقرأ اليوم الاستطلاعات العميقة التي تجري كل عشر سنوات، يمكن أن يرى ماذا يحدث في المجتمع اليهوديّ الأميركيّ. في الاستطلاع الأخير الذي أجري في العام ٢٠١٣ ظهرت أمور مدهشة. هناك عمليّة تغيير. إن كان اليهود الإصلاحيون في السابق هم غالبيّة اليهود، فإنهم بين المتدينين هم الأكثريّة أيضًا. لكنّ العلمانيين، الذين كانوا قلة بحسب الاستطلاعات السابقة، هم ثاني أكبر مجموعة بين اليهود الأميركيين اليوم».

اليرقة من البيض وتأكل الورق، ثم تدخل بالشرنقة، ثم بعد أيّام تتحوّل وتصبح فراشةً وتطير. لا يوجد أي شبه بين الفراشة والدودة. ينظرون إلى الفراشة وينظرون إلى الدودة ويقولون: كيف؟ إلى أين تطير؟ هذا هو المثل، والمقصود به هو اسرائيل – هي فراشة خرجت من شرنقة الصهيونيّة. الصهيونية أيضًا خرجت من اليهوديّة، وهذا تحوّل.

(*) سؤال: هذا التحول هل يجب أن يؤثر على العلاقة بين اسرائيل واليهودية في العالم؟

عيلام: هذا يؤثر، لكنه لا يحفر في الوعي كثيرًا حتى الآن. وهنا الأهم بالنسبة لي هو موضوع الثقافة: الثقافة الإسرائيلية ليست ثقافة يهود أميركا. هناك ثقافتان مختلفتان كليًا. هناك قرابة الدين وهذه الأمور، ولكن ثقافة مختلفة. من يقرأ اليوم الاستطلاعات العميقة التي تجري كل عشر سنوات، يمكن أن يرى ماذا يحدث في المجتمع اليهوديّ الأميركيّ. في الاستطلاع الأخير الذي أجري في العام ٢٠١٣ ظهرت أمور مدهشة. هناك عمليّة تغيير. إن كان اليهود الإصلاحيون في السابق هم غالبيّة اليهود، فإنهم بين المتدينين هم الأكثريّة أيضًا. لكنّ العلمانيين، الذين كانوا قلة بحسب الاستطلاعات السابقة، هم ثاني أكبر مجموعة بين اليهود الأميركيين اليوم. فاليهود العلمانيون ٣٠ بالمئة، والإصلاحيون ٣٥ بالمئة. هناك خروج وانتقال من الإصلاحيّة إلى العلمانيّة. والمحافظون تراجعوا إلى ١٧ بالمئة، أما الأرثوذكس فهم مجموعة ثابتة لا تتعدى ١٠ بالمئة.

وما هي وظيفة المجموعة الأرثوذكسيّة؟ أن تنجب أطفالًا علمًا بأن أغلب الأطفال لا يبقون متديّنين خلافًا لما يُنشر ويُقال بأن الأغلبية تعود للتديّن، هذا غير صحيح ويعترفون بهذا. ما الذي يحدث؟ ما هي المفارقة؟ أن المتديّنين والحريديم ينجبون أطفالًا، ويذهب جزء كبير، نصف هؤلاء الأطفال، عندما يكبرون إلى العلمانيّة ويتركون التديّن. هناك أيضًا صرعة أن ينجب العلمانيّون أطفالًا أكثر. الصرعة عند العلمانيين الآن أن تنجب أربعة أطفال بدلًا من اثنين. لنر كم من الوقت ستستغرق هذه العمليّة.

المهم أن هناك اتجاهًا منهجيًا نحو العلمنة في كل العالم. هناك الكثير الكثير من المتطرفين المتديّنين. ولكن التوجّه المنهجيّ هو في اتجاه العولمة والتحديث. الهايتك يساهم في هذا، وكذلك الاقتصاد، والعولمة. من يحكي اليوم عن السياسة من دون أن يحكي عن العولمة فهو لا يعيش في هذا العالم. ليس للهايتك والاقتصاد أي حدود. شركة «تنوفا» مثلًا من يمتلكها الآن ، وهي كانت بالنسبة لنا رمزًا وطنيًا.

في هذا الجانب أنا شخص متفائل. لا أعتقد أن القيادة يمكنها أن تغيّر، ودور القيادة هو برأيي ثانويّ. وثمة ما هو أقوى منها ويتمثل في الواقع وبالأساس الواقع الخارجي كما ذكرت.